تفسير سورة الاعراف الحلقة ١٠٠

ملخص :

الفقرات التالية تتناول مفهوم الإشهاد والشهود من خلال تفسير آية "وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَاشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَافِلِينَ" (الأعراف 172). السيد الطباطبائي يشرح أن الإشهاد هنا يرتبط بالإنسان وفهمه لوجوده وفقره الوجودي وارتباطه بالله.

تبين أن الشهادة تعني توجيه الإنسان نفسه نحو تحليل واستيعاب وجوده وحاجته للخالق. يُؤكد أن هذا العلم الفطري الحضوري موجود في جميع البشر ويتعلق بالفقر والحاجة والارتباط بالله.

تُطرح مسألة مكان هذا الإشهاد، وهل وقع في عالم الذر قبل الوجود البشري أم في هذا الوجود؟ هنا يتم ذكر وجهة نظر تقول أنه وقع في الوجود البشري وأخرى تقول أنه وقع في عالم الذر. يتم رفض الوجهة الأخيرة بسبب عدة تساؤلات واعتبارات، منها عدم تذكر الإنسان لذلك العالم وعدم وجود ميثاق سابق قبل وجوده.

بشكل عام، الفقرات تناقش مفهوم الإشهاد والعلم الفطري للإنسان بحاجته وفقره وارتباطه بالله، وتطرح تساؤلات حول مكان وجود هذا الإشهاد وتفسيرات مختلفة له

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ(١٧٢)**

**أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ(١٧٣)**

**وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ(١٧٤)**

هَذِهِ الآياتُ تَشِيرُ إِلَى التَّوْحِيدِ الفِطْرِيِّ عِنْدَ الإِنْسَانِ وَأَنَّهُ بِفِطْرَتِهِ مُوَحِّدٌ مُلْتَفِتٌ وَهُوَ الأَصْلُ فِي وُجُودِ الإِنْسَانِ وَرُوحِهِ وَعَقِيدَتِهِ وَمَا يَخْتَمِرُ فِي نَفْسِهِ هُوَ التَّوْحِيدُ لِذَلِكَ كُلَّمَا انْحَرَفَ لَابُدَّ أَنْ يَرْجِعَ وَالرُّجُوعُ هُوَ رُجُوعٌ لِلأَصْلِ "وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ" يَرْجِعُونَ إِلَى أَصْلِهِمْ وَإِلَى فِطْرَتِهِمْ، فَالأَصْلُ فِي الإِنْسَانِ وَالْفِطْرَةِ فِي الإِنْسَانِ هِيَ التَّوْحِيدُ وَكُلَّ انْحِرَافٍ إِنَّمَا هُوَ طَارِئٌ هُوَ الَّذِي يَطْرَأُ لَيْسَ إِنَّ الإِنْسَانَ يَحْتَاجُ إِلَى إِيمَانٍ لَاحِقٍ يَعْنِي لَمْ يَكُنِ الإِنْسَانَ كَافِرًا ثُمَّ آمَنَ وَإِنَّمَا كَانَ مُؤْمِنًا وَالأَصْلُ فِيهِ الإِيمَانُ فَإِذَا انْحَرَفَ صَارَ مُشْرِكًا أَوْ كَافِرًا بِانْحِرَافِهِ يَعُودُ الَى أَصْلِهِ "وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ" إِلَى أَصْلِهِمْ.

أَخَذَ الشَّيْءُ مِنَ الشَّيْءِ يُوجِبُ إِنْفِصَالَهُ عَنْهُ، أَخَذْتُهُ هَذَا مِنْ هَذَا فَصَلْتُهُ عَنْهُ فَصَارَ لَهُ وُجُودٌ مُسْتَقِلٌ "وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ" دَالٌّ عَلَى تَفْرِيقِهِمْ وَتَفْصِيلِ بَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ فَجَعَلَ لِذُرِّيَّةِ آدَمَ لِكُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَفْرَادِهِ وُجُودٌ مُسْتَقِلٌ عَنْ آدَمَ مُسْتَقِلٌ عَنْ آبَائِهِ لَهُ وُجُودٌ وَكِيَانٌ مَادِيٌّ وَحَقِيقِيٌّ وَرُوحِيٌّ وَمَعْنَوِيٌّ مُسْتَقِلٌ عَنْ الآخَرِ فَأَخَذَهُمْ وَفَصَلَهُمْ عَنْ بَعْضِهِمُ الْبَعْضِ وَاشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَرَاهُمْ حَقِيقَتَهُمْ "وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتِهِمْ" إِشَارَةٌ إِلَى انْتِشَارِ النَّوْعِ الإِنْسَانِيِّ التَّكَاثُرُ تَكَاثُرُ بَنِي آدَمَ وَانْتَشَرُوا فَصَارُوا كَثِرً وَكُلُّ فَرْدٍ مُسْتَقِلٌ فِي وُجُودِهِ "وَاشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ" جَعَلَ اللَّهُ الإِنْسَانَ مُلْتَفِتًا إِلَى وُجُودِهِ وَحَقِيقَةِ وُجُودِهِ أَيْنَمَا كَانَ يَعْرِفُ وُجُودِهِ وَيَعْرِفُ نَقْصَهُ وَيَعْرِفُ فُقْرَهُ وَيَعْرِفُ ارْتِبَاطَهُ بِخَالِقٍ لَهُذَا الوُجُودِ

وَاشْهِدهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ" الإشهادُ على شَيْءٍ هُوَ إحْضارُ الشَّاهِد عَنْدَهُ وَآرائِهِ حَقِيقَتِهِ لِيَتَحْمِلَهُ عِلْمًا وَشَهادَةً يَقُولُ رَأَيْتُ وَشَهِدْتُ وَعَرَفْتُ فَيَشْهَدُ اللَّهُ الإِنْسانَ عَلَى نَفْسِهِ جَعَلَهُ يَنْظُرُ إِلَى نَفْسِهِ نَظَرَةً صَحِيحَةً بِحَيْثُ يَعْرِفُ حَقِيقَتَهُ هَذِهِ هِيَ الشَّهادَةُ هَذَا الإِشهادُ عِنْدَمَا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ وَفَصَّلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ لِكُلِّ فَرْدٍ مِنْهُمْ وَجُودًا مُسْتَقِلاً جَعَلَ هَذَا الْحَضُورَ وَهَذِهِ الْمَعْرِفَةَ مَوْجُودَةً مُتَحَقِّقَةً بَيِّنَةً وَاضِحَةً؛ "أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ" هَذا غَرَضُ الإِشهادِ "أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ" فَوَقَفُوا عَلَى حَقِيقَةِ أَنفُسِهِم مِنَ الْفَقْرِ وَالْحَاجَةِ لِلْخَالِقِ وَالرَّبِّ وَالْمُدَبِّرِ عَرَفُوا أَنَّهُم فُقَرَاءُ وَأَنَّهُم لَا وُجُودَ لَهُم بِاِسْتِقْلَالٍ وَأَنَّهُم لَا يَنْفَعُونَ أَنفُسَهُم وَلَا يَمْنَعُونَ عَنْ أَنفُسِهِم الْمَوْتَ وَلَا الضَّرَّ وَلَا يَكْسِبُونَ لِأَنفُسِهِم سَعَادَةً يَعْرِفُ كُلُّ إِنسَانٍ أَنَّهُ فِي الْوُجُودِ هُوَ وَإِن كَانَتْ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنَ الْقُدْرَاتِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ كُلَّ شَيْءٍ لَا يَسْتَطِيعُ دَفْعَ الزَّلَزَالِ وَلَا الْأَوْبَاءِ وَلَا كُلَّ شَيْءٍ هُوَ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ فِي هَذَا الْوُجُودِ وَهُنَا يَقْفُ الإِنسَانُ الإِنسَانُ فِي أَيِّ مَنْزِلٍ لِوُجُودِهِ فَلَا تَغِيبُ عَنْهُ حَاجَتُهُ وَفَقْرُهُ أَيُّ شَخْصٍ يَلْتَفِتُ وَيَتَأَمَّلُ فِي أَيِّ جِهَةٍ لِمَجْرَدِ اَنْ يَفْكُرَ يَجِدُ نَفْسَهُ مُحْتَاجًا وَأَنَّهُ فَقِيرٌ، "قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا" فَالآيَةُ تُشِيرُ إِلَى خَلْقِ الإِنسَانِ وَتَكَاثُرِهِ وَوُقُوفِهِ عَلَى فَقْرِهِ الْوُجُودِيِّ وَالرَّبُوبِيِّ إِنَّهُ فَقِيرٌ فِي وُجُودِهِ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ يَعْنِي كُلَّ شَخْصٍ مُؤْمِنٍ كَافِرٍ اَيًّا كَانَ يَعْلَمُ اَنَّهُ لَمْ يَجِدْ نَفْسَهُ فِي وُجُودِ اَعْلَمَ اَنَّنِي وَجِدْتُ اَنَّهُ هُنَاكَ شَيْءٌ أَوْجَدَنِي فَأَنَا لَا اَمْلِكُ وُجُودِي بِقَائِي وَاِسْتِمْرَارِي وَعَدَمِ الْمَوْتِ لَا أَمْلِكُهُ حَاجَتِي لِلْوُجُودِ وَلِمَا حَوْلِي لَا اَنَا الذِّي اُوْفِرُهَا هِيَ مُتَوَفِّرَةٌ لَا اَسْتَطِيعُ لَوْ مَنَعَ عَنِي الْاَكْسِجِينِ مُتَ لَوْ مَنَعَ عَنِي الطَّعَامِ وَهَكَذَا، اِذَاً يَقْفُ عَلى نَفْسِهِ "قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا" فِيشْهَدُ الاِنسَانُ عِنْدَمَا يَرَى وُجُودَهُ لِمَجْرَدِ اَنْ يَتَأَمَّلَ اَيَّا كَانَتْ عَقِيدَتُهُ وَفِكْرُهُ مُجْرَدِ اَنْ يَتَأَمَّلَ يَقُولُ شَهِدْنَا يَشْهَدُ عَلَى اَنَّهُ فَقِيرٌ وَاَنَّهُ مُخْلُوقٌ، "قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا" هَلْ هَذَا الْقَوْلُ لِفَظًا وَحَقِيقَةً اَمْ هُوَ لِسَانُ حَالٍ؟ الْجَوَابُ: السَّيِّدُ الطَّبَاطَبَائِيُّ يَقُولُ: لِسَانُ الْحَالِ، لِسَانُ الْحَالِ الاِنسَانُ وَالْوُجُودُ هُوَ الَّذِي يُجِيبُ فَيَقُولُ اَنَا فَقِيرٌ وَاَنَا مُحْتَاجٌ وَاَنَا اَشْهَدُ عَلَى هَذَا الْفَقْرِ وَاَنَّنِي مُخْلُوقٌ اِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَمَا هُوَ السُّؤَالُ فِي حَقِيقَتِهِ؟ هَلْ سَالَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سُؤَالًا اَيْضًا؟ يَعْنِي الْجَوَابَ اِذَا قُلْنَا الْجَوَابُ هُوَ لِسَانُ الْحَالِ لِسَانُ حَالِ كَمَا تَمُرُ مِثَلًا عَلَى الْقَرْيَةِ الْخَرَابِ وَتَقُولُ كَانَهَا تَنْبِعُ عَنْ ضَعْفِ اَهْلِهَا وَاَنَّهُمْ فَنُوا وَ تَقُولُ مِثَلًا فِي بَعْضِ الاَشْخَاصِ مَا هُمْ فِي وُجُوهِهِمْ كَاَنَّهُ يَتَكَلَّمُ يَمُرُّ عَلَى جِدَارٍ يَقُولُ يُرِيدُ اَنْ يُنْقِضَ الْجِدَارُ لَمْ يَقُلْ وَلَا يُرِيدُ اَنْ يُنْقِضَ لِيَسْتَطِيعَ لِمَاذَا؟ لِاَنَّهُ حَاضِرٌ كُلُّ اَنْسَانٍ مَهْمَا كَانَ وُجُودُهُ وَمَهْمَا كَانَتْ عَقِيدَتُهُ يَعْرِفُ اَنَّهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَ لَابِدٌ اَنْ يَمُوتَ مَا يَجِي فِي بَالِ اَحَدٍ اَنَا اَبْغِي خَالِدً وَ اَنَا هَذِهِ الشَّهَادَةِ وَ مَعْرِفَةِ حَاضِرَةٍ عِنْدَ بَنِي آدَمَ جَمِيعًا، "اَوْ تَقُولُوا اِنَّمَا اَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ اَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ" هَذِهِ الآيَةُ تَتَمَّمَةٌ لِإِلْقَاءِ الْحُجَّةِ اَنَّهُ لَا حُجَّةَ بِشِرْكِ الآبَاءِ لِمَاذَا؟

لأَنَّهُ… لِكُلِّ فَرْدٍ وَجُودًا مُسْتَقْلًا، وَجُودُ الْأَبْنَاءِ مُسْتَقْلًا كَانَ مَعَ الْآبَاءِ وَفِي صَلْبِ الْآبَاءِ ثُمَّ انْفَصَلُوا فَصَارُوا مُنْفَصِلِينَ، صَارَ لَهُمْ كَيَانٌ مُسْتَقْلًا فِي الْوُجُودِ، فِي الْمَشَاعِرِ، فِي الْفِكْرِ، فِي كُلِّ شَيْءٍ. فَلَيْسَ لِلْآبَاءِ حُجَّةٌ عَلَى الْأَبْنَاءِ، وَلَيْسَ لِلْأَبْنَاءِ أَنْ يَعْتَذِرُوا بِشِرْكِ آبَائِهِمْ. كُلُّ يَتَحَمَّلُ اخْتِيَارَهُ هُوَ.

مَا هُوَ الْعِلْمُ الَّذِي نَسْمِيهُ شُهُودًا وَشَهَادَةً؟ الْجَوَابُ: هُوَ الْعِلْمُ الْفِطْرِيُّ الْحَضُورِيُّ عِنْدَ جَمِيعِ بَنِي آدَمَ، عِنْدَهُمْ هَذَا الْعِلْمُ بِالْحَاجَةِ وَالْفَقْرِ وَالِارْتِبَاطِ بِخَالِقِ لِهَذَا الْوُجُودِ.

السُّؤَالُ الْأَخِيرُ: أَيْنَ ظَرْفُ الاشهاد؟ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَالَ فِي الْآيَةِ "وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَاشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ الَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ." أَيْنَ ظَرْفُ الاشهاد؟ هَلْ هُوَ فِي هَذَا الْوُجُودِ؟ أَمْ هُوَ فِي عَالَمِ الذُّرِّ قَبْلَ هَذَا الْوُجُودِ؟

الجَوَابُ: هُنَاكَ رَأْيَانِ لِهَذَا الْجَوَابِ، قَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّهُ وَقَعَ فِي ظَرْفِ الدُّنْيَا الَّذِي قُلْنَا أَنَّهُ أَصْلُ الْخَلْقَةِ نَفْسُ الْخَلْقَةِ وَتَكَاثُرُ الْبَشَرِ. هَذَا هُوَ الرَّأْيُ الَّذِي يَتَبَنَّاهُ كَثِيرونَ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ كَالسَّيِّدِ الطَّبَاطَبَائِيِّ وَالشَّيْخِ نَاصِرِ مَكَارِمِ الشِّيرَازِيِّ وَكَثِيرونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ.

الرَّأْيُ الآخَرُ فِي عَالَمِ الذُّرِّ، يَقُولُونَ وَقَدْ طَرَحَ الْقَوْمُ عَدَّةَ رَوَايَاتٍ تَدُلُّ عَلَى عَالَمِ الذُّرِّ وَأَنَّهُ فِي عَالَمِ الذُّرِّ يَقُولُونَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَصْلِ خَلْقَتِهِ الإِنْسَانَ اَحْضَرَهُمْ ذُرًّا صَغِيرًا وَاشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ كَشْفًا لَهُمْ وَخَاطَبَهُمْ وَسَأَلَهُمْ وَأَقْرُوا عَلَى ذَلِكَ فَجَعَلَهَا حُجَّةً عَلَيْهِمْ، وَقَدْ رَدُّوا هَذَا الْقَوْلَ بِأُمُورِ السَّيِّدِ الطَّبَاطَبَائِيِّ وَذَكَرُوا إِشْكَالَاتٍ.

1. يَقُولُ إِنَّنَا لَا نَتَذَكَّرُ شَيْئًا اسْمُهُ مِيثَاقٌ فِي عَالَمِ الذُّرِّ، فَلَا نَتَذَكَّرُ عَالَمَ الذُّرِّ، فَلَا يَكُونُ مَا نَحْنُ فِيهِ مَا نَحْنُ عَنْهُ غَافِلِينَ. حُجَّةٌ عَلَيْنَا لِأَنَّ الْآيَةَ هِدَفُهَا الِاشْهَادُ وَأَن يَجْعَلَهَا حُجَّةً عَلَيْنَا، فَكَيْفَ جَعَلَ هَذَا الْعَالَمَ وَلَا نُذْكِرُ مِنْهُ شَيْئًا.
2. كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَنْسَى جَمِيعُ النَّاسِ ذَلِكَ الْمِيثَاقَ مَعَ قُرُبِهِ مِنَ الدُّنْيَا؟
3. هِدَفُ الإِشْهَادِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَحَقَّقَ أَبَدًا لِأَنَّهُ غَيْرُ حَاضِرٍ، هَذَا الإِشْهَادُ وَالْمِيثَاقُ لِأَنَّهُ غَيْرُ حَاضِرٍ وَنَحْنُ غَيْرُ مُلْتَفِتِينَ لَهُ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَدَفًا.
4. رَوَايَاتُ عَالَمِ الذُّرِّ لَا شَأْنَ لَهَا بِالْآيَةِ كَمَا يَقُولُ السَّيِّدُ الطَّبَاطَبَائِيُّ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ."